بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم

الصيام حِكَم وأسرار

الحمد لله الذي جعل شهر رمضان موسماً للخيرات والبركات وميداناً للتسابق للمكرمات والمبرات، وذكرى لإنزال كتاب الله الخالد القرآنِ الكريم، وشرع فيه لهذه الأمة المحمدية ركناً من أعظم أركان الاسلام، وقاعدة من قواعده الأساسية التي بيّنها سيّد الأنام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، ألاَ وهي فريضة الصيام التي كتبها الله علينا كما كتبها على مَن قبلنا من الأنام لما تشتمل عليه من الفوائد والأسرار والحكم الروحية والبدنية والإجتماعية كما هو مشاهَد ومحسوس للخاص والعام، لا سيّما من وفقه الله لأدائه بإخلاص وإحكام. هذا واقتداء بسنة نبينا عليه الصلاة والسلام نستهل درسنا بهذا الحديث النبوي الشريف الذي افتتح به عليه الصلاة والسلامِ شهرَ رمضان المباركَ وزف به لأمته هذه البشرى الكريمة الخالدة. فعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان فقال: يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، شهرٌ جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعاً، من تقرّب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ~~وهو~~ ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه. وهو شهر الصبر. والصبر ثوابه الجنة، وشهر

المواساة

المواساة ، وشهر يُزاد رزق المومن فيه ، من فطّر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار ، وكان له مثلُ أجره من غير أن ينقص من أجره شيئ . قالوا: يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطّر الصائم. فقال رسول الله (ص) : يعطي الله هَذا الثواب من فطّر صَائماً على تمْرة أو على شربة ماء أو مذقة لبن ، وهو شهرٌ أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عِتقٌ من النّار ، من خفّف عن مملوكه فيه غفَر الله له وأعتقَه من النار واستكثروا فيه من أربع خصال :

خصلتين ترضون بهما ربّكم ، وخصلتين لا غناء بكم عنهما فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه ، وأما الخصلتان اللتان لا غناء بِكم عنهُما فتسألون الله الجنة ، وتعوذون به من النار ، ومن سقى صائماً سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة » رواه ابن خزيمة في صحيحه ثم قال صحّ الخبر، ورواه من طريق البيهقي

الصَّومُ وَمَشْروعيّته وفَوَائِدُه

أيها الإخوة المومنون ، إن من أهم العبادات التي شرعها الله لتطهير أرواح عباده المومنين وتزكية نفوسهم وتهذيب أخلاقهم ، الصيام .

* تعريف الصوم : الصوم لغة ، الإمساك مطلقاً . يُقال صام عن الحركة أو الكلام أو الطعام إذا كفّ عنه، ومنه قوله تعالى حكاية عن مريم عليها السلام : «إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً » وكذا قول النابغة

خيل صيام وخيل غير صائمة .·. تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما
أي خيل ممسكة عن الجري والحركة ، وخيل تجري وتتحرك فأطلق الصيام على الإمساك عن الحركة و الجري ، فهذا معنى الصوم لغة .

أما معناه شرعاً فهو الإمساك عن الأكل والشرب وغِشْيان النساء وسائر المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية التعبّد أي التقرب إلى الله تعالى .

تاريخ الصوم

الصوم عبادة روحية قديمة ، فرضها الله على أمم كثيرة من أهل الأرض قبل هذه الأمة . قال تعالى : « يا أيها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » . وقد عُرف الصوم عند قدماء المصريين والهنود كما عُرف عند اليونان والرومان . فتاريخ الصوم عميق الجذور بعيد المدى تغلغل في أعماق التاريخ . وقد قيل ان الوثنيين من الهنود ما زالوا يصومون إلى الآن ، غير أنهم لا يصومون لله وإنما يصومون لتسكين آلهتهم المزعومة قصد إرضائها عندما يشعرون أنهم فعلوا ما يغضبها على حدّ زعمهم . كما أن اليهود والنصارى ما زالوا يصومون إلى اليوم . وقد ثبت عندهم صوم موسى وعيسى عليهما السلام وإن بدّلوا وحرّفوا كما شاءت لهم أهواؤهم .

وتدل شرعية هذه العبادة مع عمومها لسائر الأمم على أنها من أعظم العبادات تطهيراً للنفس ، وترقية للروح وترقيقاً وتقوية للشعور الديني في القلب ، وتمتيناً لصلة العبد بربه

العبد بربه عز وجل . فإن الصائم الصائم كلما دعته نهمة حب الطعام والشراب أو نهزته غريزة النساء تذكر أنه صائم ، فيكون دائماً في مراقبة الله وذكره وخشيته وذكر الله بالقلب واستحضار خوفه عزّ وجلّ من أكبر عوامل الإصلاح للعبد

تاريخ فرض الصيام على هذه الأمة

ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم يوم عاشوراء قبل فرض رمضان ، وقد صامه في مكة قبل الهجرة إلى طيبة الغراء المدينة المنورة بأنواره عليه الصلاة والسلام لما روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان يوم عاشوراء يوماً تصومه قريش في الجاهلية ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه ، فلما قدم المدينة صامه وأمر الناس بصيامه . فلما فرض رمضان قال: « من شاء صام ومن شاء ترك » بَيْدَ أن صوم عاشوراء لم يكن على الراجح صوماً مفروضاً على الرسول (ص) والمومنين وإنما كان على سبيل التطوع فقط بدليل رواية الشيخين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم النبي (ص) المدينة فرأى اليهود تصوم عاشوراء فقال ماهذا ؟ قالوا: يوم صالح نجى الله فيه موسى وبني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى شكراً لله فصمناه كذلك فقال صلى الله عليه وسلم أنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه .

وفي يوم الإثنين من السنة الثانية من الهجرة لليلتين خالتا من شعبان فرض الله الصيام على المسلمين بقوله عز وجل : « يا أيها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام ...الخ »

فقوله تعالى كتب عليكم يرشد إلى أنه لم يكن شيء من الصوم مكتوباً عليهم. ولهذا يذهب كثير من العلماء إلى أنه لم يُفرض قبل رمضان صيامٌ على هذه الأمة بهذه الآية ولِما روى البخاري ومسلم عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «هذا يوم عاشوراء ولم يكتب الله عليكم صيامه وأنا صائم فمن شاء فليصم ومن شاء فليفطر».

فَوَائِدُ الصَّوْمِ

أيها المسلمون الأفاضل، إن العبادة في الإسلام تشريع إلهي لا تخلو قَطعاً من فائدة مقصودة منها، وحكمةٍ متوخاة فيها والصوم هو من أعظم العبادات التي لها فوائد كثيرة ومتنوعة بعضها روحي وبعضها صحي وبعضها أخلاقي وبعضها اجتماعي نذكر منها ما يلي:

* الفوائد الروحية للصوم

فالصوم يعوّد الصبر وضبطَ النفس، والوقوف في وجه المغريات والمفاتن التي يتهاوى أمامها الكثير من الناس بما يخلف في النفس من ملكة التقوى الناجمة عن دوام المراقبة لله تعالى بالصوم وكثرة الذكر. وهذه هي الحكمة التي أشار إليها التعليل القرآني في قوله تعالى: لعلكم تتقون بعد إخباره عز وجل بفرض الصيام بقوله يٰأيها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام ...إلخ» وفي الحديث الشريف عنه صلى الله عليه وسلم «الصيام نصف الصبر» فالصبر وضبط النفس والتحمّل والتقوى وطهارة الروح وتزكية النفس هي الفوائد الروحية للصيام الشرعي الصحيح

* فائدة الصوم الصحية

إن الرسول صلى الله عليه وسلم لما قال: صوموا تصحوا كان يعرف حقيقة ما يقول بل كان علمه سابقاً لما يقول، فما قال صوموا تصحوا حتى ثبت عنده بعلم اليقين أن الصوم يكسب الصحة للصائمين بالمعنى الصحيح الذين لا يُفرطون في الأكل والشرب بالليل ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم. فإنه قد ثبت طبياً أن الرواسب في البدن، وخاصة أبدان المترفين الذين لا يعملون ولا يتحركون إلا قليلا، ولا يهمون ممن يكثر فيهم السّمن عادة ويصابون بكثرة الشحم . إن هؤلاء لا يعالجون إلا بالصوم. وقد عُلم هذا بالتجربة والإختبار حتى قال أحد أطباء الغرب المعاصرين : إن صيام شهر واحد يذهب بالفضلات الميتة في البدن مدة سنة ، وهذا تحقيق لحكمةٍ من بعض حكم الله في التشريع الحكيم . ففائدة الصوم الصحية إذاً هي تطهير الأمعاء وإصلاح المعدة وتنظيفُ البدن من الرواسب والفضلات والتخفيفُ من وطأة السِّمن وثقل البطن بالشحوم . وأعظِم بهذه الفائدةِ من فائدة ، وأكرِم بهذا التشريع الإلهي من تشريع صالح حكيم لمَن وفقه الله لتطبيقه واتباع منهاجِه .

* الفوائد الإجتماعية للصوم

1- الإتحاد والنظام ففي إمساكِ وإفطار أمة كاملة في لحظة واحدة على اختلاف طبقاتها، وتباعدِ ديارها لَرَمْزٌ قوي إلى وحدة الصف الإسلامي وتوحيدِ الأمة وتماسكها وسيرها متحدة في طريق رقيها وسعادتها إلى أن تصل إلى رضوان خالقها.

2- العدل والمساواة، إذ أمة كاملة يتحد أفرادها أغنياءَ وفقراءَ ضعفاء وأقوياء في الإمساك طوالَ مدة الصوم سواء الموسر أو المعسر، والواجد والمعدم، لأمة خليقة بأن يسود فيها العدل وتتحقق فيها الأخوة والمساواة، وهذا من فضائل صوم رمضان وبركاته على المجتمع.

3- تكوين العاطفة وخُلق الرحمة في النفوس، فإن الذي لا يجوع طوال العام لا يقدّر ألم الجائعين، والذي لا يعرف الحرمان في شيء لا يحُس بشقاء المحرومين من كلّ شيء، وليس من سبيل إلى إقناع ذوي البطون بأن الجوع موجع ومؤلم ولا من سبيل إلى إقناع المحظوظين بأن الحرمان مُشقٍ ومتعِب إلا بالجوع والحرمان نفسيهما. فإذا حُرم المحظوظ وجاع الشبعان عرفا مضاضة الجوع وألم الحرمان، وتكونت فيهما عاطفة بها يعطِفون على المحرومين ويرحمون الجائعين والله تعالى يقول: «ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هديكم ولعلكم تشكرون». فبالصوم والإفطار توجد دواعي الشكر بالبر والإحسان، والمجتمع الذي تنبعث فيه العواطف وتغشاه الرحمة ويعمّه البِرّ ويكثر فيه الإحسان هو المجتمع الصّالح السعيد، والصوم كفيل بتحقيق هذه الأهداف النبيلة، ترقية الأخلاق وكبح جماح النفس ونزغات الشيطان.

إن الصوم يحصن الأخلاق من الإنزلاق في أوحال الشرّ والإستجابة لدواعي النزاع والخصام. يقول صلى الله عليه وسلم «الصوم جنة فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب وإن امرؤ شاتمه أو قاتله فليقل إني صائم اني صائم. ويقول عليه الصلاة والسلام

« إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والصوم أخرجه الشيخان وأحمد وأبو داود وغيرهما وفي الصحيح أيضا يقول عليه الصلاة والسلام « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » .

فمن هذه الأحاديث النبوية الشريفة نعرف فائدة الصوم في حصانة الأفراد وحمايتهم من الشر والفساد لأن الرذائل والجرائم والشر والفساد مردها إلى فتنة الشيطان وطغيان شهوة الإنسان ، والصوم وحده الكفيل بقطع الطرق عن الشيطان ويكسر حدة شهوة الإنسان ، فهو إذاً حصانة للمجتمع من الرذائل والشر والفساد وترقية للأخلاق الكريمة وارتقاء بالإنسان المومن إلى مصاف المقربين من الملإ الأعلى واسترضاء لرب العزة جل جلاله . وهذه الخصائص لا توجد في غير الصيام من العبادات . ولهذا روي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قلت يارسول الله مرني بعمل ، قال : عليك بالصوم فإنه لا عِدل له . قلت : يارسول الله ، مرني بعمل قال : عليك بالصوم فإنه لا عِدل له . قلت : يارسول الله ، مرني بعمل ، قال : عليك بالصوم فإنه لا مثل له . رواه النسائي وابن خزيمة في صحيحه هكذا بالتكرار وبدونه والحاكم وصححه

فَضَائِلُ الصَّوْمِ

ان الله تعالى شرع العبادات مطهرات وأحب من عباده المتطهرين والصوم من أقواها تطهيراً ، وأكبرها تأثيراً . ولذلك كان من أشرف العبادات وأسماها . وقد ورد في فضله من الأحاديث

مايزيد المومنين

ما يزيد المومنين ترغيباً . والراغبين عنه جهلاً به ترهيباً
وهذه بعض الأحاديث الواردة في ذلك باختصار :

1. الصيام جنة من النار كجنة أحدكم من القتال . رواه الشيخان

2. قوله عليه الصلاة والسلام «الصوم نصف الصبر والله تعالى يقول : «إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب» أخرجه أصحاب السنن والصحاح .

3. قوله صلى الله عليه وسلم «الصيام جنة فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم والذى نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» . يقول تبارك وتعالى : يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي ، الصيام لي وأنا أجزي به ، كل حسنة يعملها ابن آدم بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف الا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ، للصائم فرحتان ، فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه » أخرجه النسائي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

4- قوله صلى الله عليه وسلم : من صام يوماً في سبيل الله عز وجل زحزح الله وجهه عن النار بذلك اليوم سبعين خريفاً .

5- قوله عليه الصلاة والسلام : إن في الجنة باباً يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم يقال أين الصائمون لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا أدخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد . وفي رواية من دخل منه شرب ومن شرب لا يظمأ أبداً .

6- وقال عليه الصلاة والسلام : إن للصائم عند فطره دعوة لا ترد .

7- وقال صلى الله عليه وسلم : إذا كان يوم القيامة يحاسب الله

عبده

عبده ويؤدى ما عليه من سائر عمله حتى لا يبقى الا الصَّوم فيتحمل الله عز وجل ما بقى عنه من المظالم ويدخله بالصوم الجنـــة

إن هذه الفضائل الواردة في الصوم وهذه الكمَالات الخاصة بالصائمين لا تنال بمجرد الصوم المطلق بل بالصوم الكامل الصحيح لأن الصوم عبادة كسائر العبادات لا تؤدى ثمرتها بإصلاح النفس وتطهيرها الا إذا استوفت شروطها وسلِمت من الخلل فيها، وهذه الشروط نجملها فيما يلي:

1. الإخلاص لله تعالى فيه لقوله صلى الله عليه وسلم «من صام رمضان إيماناً واحتساباً ،فإنه اشترط عليه الصلاة والسلام الإيمان والإحتساب ، لأن العمل بلا إيمان كبناء على غير أساس ولأن الشرك في العبادة مبطل لها ومحيط لثوابها لقولـــه تعالى «لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين »

2- الإبتعاد أثناء الصوم عن كل إثم وقبيح من القول والفعل وخاصة الغيبة والنميمة وأكل الحرام فإن الله تبارك وتعالى لما ذكر تحريم الأكل والشرب ومباشرة النساء في نهار رمضان ذكر بعد ذلك النهي عن أكل المـــال الحرام . فقال :«ولا تاكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام » فحرّم أكل المال الحرام بعد تحريم المفطرات من الحلال فكان في ذلك إشارة إلى أن ما أفسد الصوم وهو حلال كيف لا يفسده وهو حرام . أما الغيبة والنميمة والفحش في القول والفعل وقول الزور، فلا شك أنها من مبطلات مفعول الصوم في التزكية والتطهير وحائلة دون قبوله

دون قبوله من ذي العزة والجبروت لقوله صلى الله عليه وسلم «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» وقوله عليه الصلاة والسلام: «ليس الصيام من الطعام والشراب إنما الصيام من اللغو والرفث وقوله أيضاً: «رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، ورب قائم حظه من قيامه السهر. وفي مسند الإمام أحمد أن امرأتين صامتا في عهد النبي (ص) فكادتا أن تموتا من العطش، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأعرض ثم ذكرتا له فدعاهما فأمرهما أن يتقيا فقاءتا ملء قدح قيحاً ودماً وصديداً ولحماً عبيطاً فقال النبي (ص) ان هاتين صامتا على ما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما حيث جلست إحداهما للأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس.

أسرار الصوم وحكمته

قال الإمام الغزالي في أسرار الصوم: اعلم أن لكل شيء باباً وباب العبادة الصوم لأنه قهر لعدو الله. ففي الخبر «إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع»

ثم الصوم بالنسبة إلى مقداره ثلاث درجات، وبالنسبة إلى أسراره على ثلاث درجات أيضاً. أما درجات مقداره فأقلها الإقتصار على صوم رمضان، وأعلاه صوم داود عليه السلام وهو أن يصوم يوماً ويفطر يوماً، فذلك أفضل من صوم الدهر. وسره أن من صام الدهر كان الصيام له عادة فلا يحس بموقعه في نفسه بالإنكسار وفي قلبه بالصفاء وفي شهوته بالضعف

شهوته بالضعف ، فإن النفس إنما تتأثر بما يرد عليها إلا بما مَرَنت عليه ، ولا يستبْعد هذا ، فإن الأطباء يَنهون عن اعتياد شرب الدواء لغير حاجة ، وقالوا : من تعوّد ذلك لم ينتفع به إذا مرض ، إذ يألفه مزاجه فلا يتأثر به .

وأما الدرجة الوسطى فهي أن تصوم ثلث الدهر ، ومهما صمت الإثنين والخميس كان ذلك مع رمضان ثلث السّنة فلا ينبغي أن ينقص صوم الناسك عن هذا ، فإنه خفيف على النفس وثوابه جزيل .

وأما درجات أسراره فثلاث ، أدناها أن يقتصر على الكف عن المفطرات من غير أن يكف جوارحه عن المناهي ، وذلك صوم العوام لقناعتهم بالإسم .

- الثانية : أن يضيف إليه كف الجوارح فيحفظَ لسانه عن الغيبة وغيرها ، والعينَ عن النظر ، وكذا سائرَ الأعضاء . وذلك صوم الخواص .

- الثالثة : أن يضيف إليه صيانة القلب عن الفكر والوسواس وجعلَه مقصوراً على ذكر الله ، وذلك صوم خواص الخواص ، وهو الكمال .

واختص الله تعالى الصائم بأن جعل حاله كله عبادةً وطاعةً فهو إن صَمَت عن فضول الكلام في طاعة ، وإن نام ليتقوى على القيام في طاعة أيضاً . روي عنه صلى الله عليه وسلم : « صَمْتُ الصائم تسبيح ونومه عبادة ودعاؤه مستجاب وعمله مضاعف » رواه الديلمي عن ابن عمر .

واختص الله الصائمَ بأن جعل لمن فطره من الثواب الجزيل ما لا ينقص من ثواب الصائم نفسه ، وفي سبيل إكرام من أكرم الصائم

الصائم جعل هذا الثواب ولو كان على لقمة خبز أوشربة ماء فقال صلى الله عليه وسلم : « من فطر صائماً في رمضان من كسب حلال صلت عليه الملائكة ليالي رمضان كلها وصافحه جبريل ليلة القدر، ومن صافحه جبريل تكثر دموعه ويرق قلبه فقال رجل يارسول الله أرأيت من لم يكن ذاك عنده ؟ قال: فلقمة خبز ، قال : أرأيت من لم يكن ذاك عنده ؟ قال: فقبضة من طعام . قال: أرأيت من لم يكن ذاك عنده ؟ قال: فمَذْقَة من لبن قال : أفرأيت من لم يكن ذاك عنده ؟ قال: فشربة من ماء ».
أخرجه أبو يعلى وأصحاب السنن الأربعة وابن حبان في الضعفاء .

فاختص الصوم عن بقية الأعمال بإضافته الى الله تعالى إضافة تشريف إعلاماً بأن ثوابه وصل غاية تقصر العقول عن إدراكها وأيضاً لأنه لم يتقرب إلى غير الله بالصوم لذاته . وصوم أصحاب الهياكل والاستخدامات للنجوم ليس لذات الهياكل والنجوم لأنهم ص 3
لا يعتقدون أنها فعالة بنفسها . فصومهم في الحقيقة لربها وأيضاً لأن الصوم إشارة إلى سرّ صمديته تعالى دون سائر العبادات وأيضاً لأن الإستغناء عن الطعام وسائر الشهوات من صفاته تعالى ، والصوم فيه نوع يوافقها فلذلك أضافه تعالى إليه .
ومن ثم قال القرطبي معناه أن أعمال العباد مناسبة لأحوالهم إلا الصوم فإنه مناسب لصفة من صفات الحق ، فكأنه تعالى يقول إن الصائم يتقرب إليّ بأمر هو من صفاتي .

ثم للصوم خاتمة بها يكمل وهي أن يفطر على طعام حلال ، ولا يستكثر من الأكل بحيث يتدارك ما فاته من الغذاء فيكون قد جمع بين أكلتين في دفعة واحدة فتثقل معدته وتقوى شهوته ويبطل سر الصوم ويفضي إلى التكاسل ، وذلك خسران لا نفي به فائدة الصوم .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم

الشيخ سيدي سالم بن ابراهيم تلامذته ومحبوه